الهمزة في القرآن الكريم

بقلم
د. سهام مادن
كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة الجزائر 1

ملخص

القراءات القرآنية مصدر أساسي لدراسة مختلف الظواهر منها اللغوية فهي تعكس الاختلافات اللهجية، واخترنا الدراسة الصوتية متمثّلة في دراسة الهمزة.

Resumé :

La langue du coran est une langue Noble Sacrée, elle jouit de différents qualités, on essayera de traiter les différents lectures du coran en prenant comme exemple la phonétique en représentant une lettre très importante qui est le (A), en Arabe (la Hamza).

مقدّمة:

تعدّ القراءات القرآنيّة المرآة الصّادقة التي تعكس الواقع اللّغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وهي المصدر الأول في معرفة اللّهجات العربيّة،حيث مالت بعض القبائل للتخفيف، وبعضها للتحقيق، وما هذا الاختلاف الصوتي عفوي بل ناتج عن أسباب منها أنّ البدو أميل للتحقيق لطبيعتهم الصحراوية، والحضر أميل للتخفيف لحضارتهم، وهذه ليست قاعدة بل لاحظنا بعض التجاوزات، والقراءات القرآنية، قد عكست هذه الاختلافات بل قد جسّدتها، وعليه سنحاول التعرّض لآثار الاختلاف اللّهجي في النطق بالهمزة على القراءات القرآنية، محلّلين هذه الظاهرة الصوتية؛ وذلك بالتطرق لتعريف الهمزة، وبيان أقسامها، وإعطاء لمحة عن مذاهب القراء في الهمزة، وفي الأخير نسبة القراءات للهجات.

أولا: تـعريف الهـمزة:

الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماؤنا القدامى "فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف"[1]، ومن الحنجرة على ما توصل إليه علم الأصوات، وهي صوت مجهور شديد عند القدماء " فأمّا (المجهورة) فالهمزة... ومن الحروف (الشديد)، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة..."[2]

قال المبرد: وهي مجهورة شديدة عند القدماء، ولا مجهور ولا مهموس – على أرجح الآراء في العصر الحاضر – وينطبق معها الوتران تماما ثمّ ينفرجان فيخرج صوت له دويّ وانفجار وفرقعة شديدة، ولذا كانت تحتاج إلى مجهود عضلي كبير حال نطقها، ولذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض في نطقها، والتمسك بها في كلامهم، فوجدنا منهم من يحققها ومنهم من يخففها بإبدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين أو حذفها.[3]

وعرّفها ابن يعيش في قوله: "حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق"[4]، ومن المحدّثين نذكر تعريف إبراهيم أنيس:

"فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تامّا، فلا نسمع لهذا دبدبة الوترين الصّوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلاّ حيث تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة." [5]

ثانيا: أقـسام الهـمزة:

والهمزة قسمان:

1- همزة مفردة. 2- همزتان مجتمعتان في كلمة أو كلمتين.

والهمزة المفردة ضربان:

1- همزة ساكنة . 2- همزة متحركة.

و السّاكنة على ثلاثة أضرب[6] :

1. مضموم ما قبلها.
2. مكسور ما قبلها.
3. مفتوح ما قبلها.

والمتحرِّكة على ضربين:

1. متحرِّكة قبلها متحرك.
2. متحرِّكة قبلها ساكن.

والهمزتان المجتمعتان إمَّا أن تكونا في كلمة أو في كلمتين.

أ- الهمزتان المجتمعتان في كلمة[7]: على ضربين:

1- تأتي الأولى منها همزة زائدة للاستفهام ولغيره، ولا تكون إلاّ متحركة، ولا تكون همزة الاستفهام إلاّ مفتوحة.

2- وتأتي الثانية منها متحرِّكة وساكنة. والمتحرِّكة إمَّا أن تكون مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة.

ب- الهمزتان المجتمعتان في كلمتين[8] : على ضربين:

1- همزتان متّفقتان ويكون الاتّفاق بالكسر أو بالفتح أو بالضمّ.

2- همزتان مختلفتان، وهما على خمسة أقسام:

أ. مفتوحة ومضمومة.
ب. مفتوحة ومكسورة.
ج. مضمومة ومفتوحة.
د. مكسورة ومفتوحة.
ه. مضمومة ومكسورة.

ثالثا: مذاهب القرّاء في الهمزة:

(أ) الهمزة المفردة:

1- قراءات صحيحة:

أ- الهمزة الساكنة:

1- مضموم ما قبلها نحو (يُؤمن، يُؤتى، مُؤتفكة، ويقول ائذن لي).

2- مكسور ما قبلها نحو (بِئس، جِئت، شِئت، الذِي ائتمن).

3- مفتوح ما قبلها نحو (فَأتوهن، فَأذنوا، وَأْمُر اهلك، و الهدَى ائتنا).

فقرأ أبو جعفر[9] وحده جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله. وقرأ الباقون بالهمز. ولم يختلفوا في (أنبِئْهم) بسكونها وكسر ما قبلها فقرأها كلّهم بالهمز[10]، ولقد قال سيبويه: " اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التّحقيقُ، والتّخفيف، والبدل. فالتّحقيق قولك: قَرَأتُ، ورأس، وسَأَلَ، ولَؤُمَ، وبِئْسَ، وأشباه ذلك، وأمّا التّخفيف فتصير الهمزة فيه بينَ بينَ وتُبدَل، وتُحذَف. "[11]

ولقد أشار سيبويه إلى الهمزة الساكنة التي يسبقها كسر أو ضمّ أو فتح أنّها تبدل حرف مدّ كما قرأها أبو جعفر. " وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفِّفَ أبدلتَ مكانها، وذلك قولك في رأْسٍ وبَأْسٍ وقَرَأْتُ: رَاس وبَاس وقَرَاتُ، وإن كان ما قبلها مضموما فأردت أن تخفِّف أبدلتَ مكانها واوا، وذلك قولك في الجُؤْنة والبُؤْس والمُؤْمن: الجُونة والبُوس والمُومِن، وإن كان ما قبلها مكسورا أبدلتَ مكانها ياءاً كما أبدلتَ مكانها واوا إذا كان ما قبلها مضموما، و ألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحا. "[12]

ب- الهمزة المتحركة وقبلها متحرك:

1. مفتوحة قبلها مضموم نحو (يُؤَده، يُؤاخذ، يُؤَلف) فقرأ أبو جعفر بإبدالها واوا وقرأ الباقون بالهمز.[13]

2. مفتوحة قبلها مكسور نحو (رئاء الناس، خاسِئا، شانِئَك).فقرأ أبو جعفر وحده بإبدالها ياءً، وقرأ الباقون بالهمز.[14] وقرأ نافع (لِئلا) بغير همز.[15]

3. مضمومة بعد كسر وبعدها واوا نحو (مستهزِئُون، الصابِئُون، متكِئُون، مَالِئُون) فقرأ أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وضمّ ما قبلها (مستهزون، الصّابِئُون، متّكِئون، مالُون) ووافقه نافع على (الصابِئون)، وقرأ الباقون بالهمز[16].

4. مضمومة بعد فتح نحو (ولا يطَأون، ولم تطَأوها، وإن تَطأوهم) فقرأ أبو جعفر وحده بحذفها وقرأ الباقون بالهمز.[17]

5. مكسورة بعد كسر نحو (متّكِئين، الصّابِئين، الخاطِئين) فقرأ أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وقرأ الباقون بالهمز.[18]

6. مفتوحة بعد فتح نحو (أَرَأيتم، أَرَأَيتكم أَرَأَيت). فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمر

وابن عامر وحمزة ذلك كله في القرآن بالهمز.

وقرأ نافع (أرايتم وأرايتكم، وأرايت) بألف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة، وقرأ الكسائي (أريتم، وأريتكم، وأريت) بغير همز ولا ألف.[19]

ج- الهمزة المتحركة وقبلها ساكن:

1- متحرِّكة وقبلها ألف نحو (إسرائيل) فقرأ أبو جعفر بتسهيلها وحققها الباقون.[20]

2- متحرِّكة وقبلها ياء نحو (هنيئا، مريئا، برئ) فقرأ أبو جعفر بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التي قَّبلها فيها وقرأ الباقون بالهمز.[21]

3- متحرِّكة وقبلها سكون نحو (شَطْأَه) فقرأها كلهم بهمزة مفتوحة.[22]

4- متحرِّكة قبلها زاي ساكنة نحو (ثم اجعل على كل جبل منهن جزْءاَ و(جزءٌ مقسوم)[23] فقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة وتشديد الزاي.[24]

و ممّا سبق ذكره نستشفّ ما يلي:

1- أنّ أبا جعفر وهو من قرّاء المدينة كان أكثر القرّاء ميلا إلى تسهيل الهمزة أو حذفها، على خلاف نافع الذي يعدّ من قرّاء المدينة، الذي لم يرو عنه تسهيل الهمزة إلاّ في حروف قليلة.

2- أنّ ابن كثير قارئ المدينة لم يرو عنه شيء من التسهيل في هذه القراءات كلّها.

3- أنّ هذه القراءات تبين لنا أنّ تحقيق الهمزة كان أكثر انتشارا من تسهيلها.

إنّه من الواجب علينا أن نشير إلى قراءات أخرى في الهمزة المفردة:

1- ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾[25] كان حمزة يسكت على الياء من (شيء قبل الهمزة سكتة خفيفة ثم يهمز، وكذلك يسكت على اللام من (الآخرة، الأرض، الأسماء) وما أشبه ذلك.[26]

قال أبو علي بأن حمزة: " كان يقف هذه الوقيفة قبل الهمزة توصلا إلى تحقيقها لأن جعل الهمزة بهذه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز معها إلاّ التّحقيق لأنّ الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها، و المبتدأ بها لا يجوز تخفيفها"[27]، وهذا يدل على أن حمزة حريص على تحقيق الهمزة.

2- اختلفوا في قوله تعالى:﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾[28]، فقرأ ابن كثير وحده بالهمز (سأقيها)[29].

3- قرأ ابن كثير وحده (ضِئْزى)[30]بالهمز و قرأ الباقون بغير همز.[31]

4- قرأ ابن كثير(ضئاء) بهمزتين في كلّ القرآن، الهمزة الأولى من قبل الألف و الثانية بعدها، و قرأ الباقون بهمزة واحدة بعد الألف في كل القرآن.[32]

5- ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾[33]، قرأ عاصم ويعقوب بالهمز قيل ولا وجه له إلا اللغة العربية المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم.[34]

وممّا سبق نستخلص: أن ابن كثير قارئ مكة، اعتمد الهمز كثيرا، وعليه فإنّه من الصّعب الاعتماد على بيئة القارئ في تحديد اللهجة.

2- قـراءات شـاذة:

أ- قراءات لا تحقق الهمزة:

1- قرأ الزهري و قتادة (بَيْنَ المَرِّ وَزَوْجِه)[35] من غير همز وبالتشديد.[36]

2- قرأ الزهري (دِفٌّ)[37] بالتشديد.[38]

3- قرأ عيسى الثقفي (سيِّغاً للشاربين)[39] بتشديد الياء.[40]

4- قرأ الحسن و مجاهد (من سوَّتها)[41] بتشديد الواو.[42]

5- قرأ الأشهب و الحسن (إِلَى بَارِيكُمْ)[43]بغير همز.[44]

6- قرأ الزهري (كَمَا بَدَاكُمْ)[45] بغير همز.[46]

7- قرأ زيد بن علي (وَهُمْ بَدَوْكُمْ)[47] بسكون الواو بغير همز.[48]

والملاحظ على هذه القراءات أنها تخلصت من الهمز بإدغامها فيما قبلها أو بتسهيلها أو بحذفها.

ب- قراءات تحقق الهمزة:

1- قرأ أيوب السِّختياني (وَلاَ الضأَلين)[49] بالهمز.[50]

2- قرأ الحسن وعمرو بن عبيد (ولا جَأنّ)[51]بالهمز.[52]

3- قرأ علي والحسن وابن محيض وأبو عمر وأم الدرداء وابن أبي عبلة (لينبذَنَّ)[53] بالهمز

وتشديد النون المكسورة.[54]

4- وروى قطرب عن بعض القراء (مُؤْسى) و (أمّ مؤسى)[55].[56]

5- قرأ طلحة بن مصرف (يؤنس)[57] و(يؤسف)[58] بالهمز.[59]

6- قرأ أبو عمرو والحسن وابن أبي إسحاق والأشهب (لترؤن)[60] بالهمز.[61]

والملاحظ على هذه القراءات تحقيقها للهمز، وإبدال بعض الصّوائت همزة.

(ب) الهمـزتـان المجتمعتـان:

1- المجتمعتان في كلمة:

1. ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾[62] اختلفوا في تخفيف الثّانية منهما وتحقيقها وإدخال ألف بينهما، فسهلها بين الهمزة والألف، ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر، وقرأ الكوفيون بتحقيقهما، وفصل بين الهمزتين بألف أبو عمرو وأبو جعفر.[63]

2. ﴿آلهتنا﴾[64] اختلفوا في تحقيق الهمزة الثانية وفي تسهيلها بين بين فحقّقها الكوفيون وسهّلها الباقون ولم يدخل أحد بينهما ألفا.[65]

3. ﴿أَأَعْجَمِيٌّ﴾[66] قرأ نافع وابن كثير وعاصم ـ في رواية ـ وأبو عمرو (آعجمي) بتخفيف الثانية، وقرأ عاصم ـ في رواية ـ وحمزة والكسائي (أأعجمي) بهمزتين.[67]

4. ﴿أَئِنَّكُمْ﴾[68] و(أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا)[69] و(أَإِلَهٌ)[70]، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الثانية بين بين وحقّقها الكوفيون وابن عامر، وفصل بين الهمزتين في جميع الباب أبو عمرو وأبو جعفر.[71]

5. ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾[72] و﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾[73]، قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر بتسهيل الثانية، وحقّقها الباقون وفصل بينهما بألف أبو جعفر واختلف عن أبي عمرو.[74]

ومن الشّواذ ما يلي:

1- قرأ ابن مسعود "بَلْ أَأَدْرَكَ" بهمزتين، وأصلها "ادّارك"[75].[76]

2- "أإِليهٌ مع الله"[77] في بعض المصاحف كأنه قال أتدعوا إلها مع الله.[78]

3- قرأ الأعمش "آيُكم"[79] بالمد.[80]

4- قرأ عبد الله بن إسحاق الحضرمي " آانذرتهم "[81] بهمزتين مخففتين بينهما ألف.[82]

5- قرأ الأعمش " آإن ذكرتم "[83] بمدة قبل الهمزة المفتوحة.[84]

نستخلص ما يلي:

1- وقع الاختلاف بين القرّاء حَول الهمزة الثانية بين تحقيقها وتخفيفها وتسهيلها، وتحقيقها مع الفصل بينها وبين الأولى بألف، ومعنى ذلك أنّ تحقيق الهمزة الأولى متفق عليه، وأنّ هناك.مع الاختلاف.من يقرأ بتحقيق الثانية أيضا، والتّحقيق إذن أغلب.

2- حقّق الكوفيون الهمزتين معا، وكذلك قرأ ابن مسعود.

3- لم تخفّف الهمزتان إلا في قراءة واحدة شاذّة.

2- المجتمعتان في كلمتين:

همزتان متفقتان:

1- كسرا نحو: " من النساء إلا "[85] و " من وراءِ إسحق "[86].

2- فتحا نحو " السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ "[87] و " جاء أحدكم "[88].

3- ضمّا نحو " أولياءُ أولئك "[89].

فقرأ أبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى منهما في الأقسام الثلاثة. وقرأ أبو جعفر بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية في الأقسام الثلاثة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين جميعا في الأقسام الثلاثة.[90]

همزتان مختلفتان:

1- مفتوحة ومضمومة نحو " جاءَ أُمة رسولها "[91].

2- مفتوحة ومكسورة نحو " شهداءَ إذ "[92] و " جاءَ إخوة "[93].

3- مضمومة ومفتوحة نحو " نشاءُ أصبناهم "[94] و " ياسماءُ أقلعي "[95].

4- مكسورة ومفتوحة نحو " و هؤلاء أهدى "[96] و " من وعاء أخيه "[97].

5- مضمومة ومكسورة نحو " و لا يأب الشهداءُ إذا "[98] و " يا أيها الملأإني "[99].

فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية فيها جميعا، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين.[100]، وهذه

القراءات قد أثبتت أن تحقيق الهمزة أكثر انتشارا في اللغة العربيّة من تسهيلها.

4. **نسبة القراءات للهجات:**

وبعدما قمنا بعرض مذاهب القراء في تأدية الهمزة تحقيقا أو تسهيلا، سنحاول التّعرف على لهجات القبائل في الهمز، قال سيبويه: " واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا وكانت كلّ واحدة منهما من كلمة، فإنّ أهل التحقيق يخفِّفون إحداهما ويَستثقلون تحقيقَهما لما ذكرتُ لك، كما استَثقل أهل الحجاز تحقيقَ الواحدة، فليس من كلام العرب أن تَلتقي همزتان فتُحقّقا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو. "[101]، وقال: " وأمّا أهل الحجاز فيخفّفون الهمزتين، لأنّه لو لم تكن إلاّ واحدة لَخُفِّفت. "[102]

ونحن نتمعن في كلام سيبويه نراه كلّ مرة يدرج أمثلة تؤكد تخفيف الحجازيين للهمزة، " وأمّا أهل الحجاز فمنهم من يقول: آ إنّك و آ أنْت، وهي التي يختار أبو عمرو، وذلك لأنّهم يخففون الهمزة كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزتين... "[103].

وتكاد تجمع كتب التراث العربي على أنّ تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وبني أسد، ومن جاورها، أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وأنّ تسهيلها لهجة أهل الحجاز[104]، وقال الدكتور إبراهيم أنيس: " وتكاد تجمع الروايات على أنّ التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أنّ القرشيّين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مدّ. "[105]

ولكن علينا أن نشير إلى أنَّ القبائل المحققة للهمزة ليست على حدّ سواء، فمنهم من يذهب في تحقيقها مذهبا بعيدا فيُبدل الألف والواو والياء همزة وهم بنو أسد، إذ يذكر الفراء أنّ همز يأجوح ومأجوح لغة بني أسد "ولا وجه له إلاّ اللُّغة العربيّة المحكية عن العجاج أنّه كان يهمز العألم والخأتم"[106].

فالقبائل التي كانت تحقق الهمزة قبائل كانت تعيش في البادية، أما القبائل المتحضرة التي كانت في الحجاز، وخاصّة قريش، والأوس والخزرج في المدينة قبائل تميل إلى تسهيل الهمز، وتمثلها قراءة أبي جعفر وبعض قراءات نافع قارئ المدينة أصدق تمثيل، أمّا قراءة ابن كثير قارئ مكة فإنّها تخالف بيئته كل المخالفة. وهذا لا يعني أنّ قبائل الحجاز كلّها

تخلّصت من الهمزة، ولكنّها تميّزت بتسهيلها على خلاف البدو، قال في هذا الصدد سيبويه: "وتقول: أقْرىَ باك السَّلامَ بلغة أهل الحجاز؛ لأنّهم يخفِّفونَانها. فإنّما قلت أقْرِى ثمّ جئت بالأب فحذفت الهمزة وألقيتَ الحركة على الياء"[107].

فأكّد سيبويه أنّ لغة أهل الحجاز التّحقيق، وما خالفها قليل: "وقد بلغنا أنّ قوما من أهل الحجاز من أهل التّحقيق يحقّقون نبيء وبَريئة، وذلك قول رديء." [108]

وقد قال إبراهيم أنيس: "الحق أنّ التّخلص من الهمزة لم يكن شائعا في كل القبائل الحجازية، بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها. ويدل على هذا قراءة " ابن كثير " الذي التزم تحقيق الهمزة. هذا إلى أنّ للهمزة حكما خاصا يخالف جميع الأصوات الأخرى. لأنّها صوت ليس بالمجهور ولا المهموس، وهي أكثر الأصوات السّاكنة شدّة، وعمليّة النّطق بها وهي محقّقة من أشقّ العمليّات الصّوتية، لأنّ مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثمّ تنفتح فجأة، فنسمع ذلك الصّوت الانفجاري التي نسميه بالهمزة المحققة." [109]

والقول عندنا أنّ القوانين التي تخضع لها اللّهجات ليست قوانين طبيعية ثابتة، باعتبار أنّ اللّغة كائن حيّ ينمو ويتغذّى من مختلف العوامل المحيطة به، والأرجح أنّ تحقيق الهمزة يناسب البيئة البدوية، لصعوبة النّطق بها وهي تلائم البدوي الذي اعتاد على خشونة وصعوبة الحياة البدوية، على خلاف البيئة الحضرية حيث تعوَّد القرشي على ليونة الحياة وعذوبتها، قال ابن يعيش: " الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النّطق به، إذ كان إخراجه كالتهوع فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتّحقيق لغة تميم وقيس..."[110]

فالهمزة صوت حنجري شديد يناسب البيئة البدوية وهي قبائل وسط الجزيرة وشرقها فهي أساسا من لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورهم، والتّسهيل في أصله لهجة البيئة المتحضِّرة وهم أصل الحجاز وبخاصة قريش في مكة والأوس والخزرج في المدينة.

ولم يكن الحجازيون جميعا بعيدين عن تحقيق الهمز إلى تسهيله بل منهم من استهواه تحقيقه وهم من سمّاهم سيبويه أهل التّحقيق، فكانوا ينطقون بالهمز كإخوانهم من القبائل

المخفّفة له، " ومن قبائل الحجاز (ككل) التي هي من طابخة، وطابخة من خندف التي سكنت الحجاز ونسب إليها ابن جني (ترقؤة) فقال إنها لغة لبعض عكل. "[111]

وممّا يدلّ على مناسبة الهمز للبدو لثقل الهمزة أن ابن جني قال: " إنّ بعض من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطفى به طبعه ويتخلى به اعتماده ووطؤه يبدل من الألف همزة فيحملها الحركة التي كان كلفا بها ومصانعا بطول المدة عنها فيقول شأبة ودأبة"[112] وسمعها بعضهم من بني كلاب.[113]

وقد حاول ابن جني تفسيرها بأنّه كره اجتماع الساكنين الألف والحرف الأول من المضعف بعدها فحركت الألف لالتقائها فانقلبت همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة[114] ، وهو صورة من صور التّوتر النّبري على لسان بعض البدو[115]، وقد قال عيسى ابن عمر: ما آخذ من قول تميم إلاّ بالنّبر وهم أصحاب النّبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا."[116]

والمراد بالنّبر الهمز؛ وقد كانت قبائل العرب يتأثر بعضها ببعض في الهمز والتّسهيل فيمكن أن نجد أمثلة قد سهّلت فيها الهمزة في بيئة نَجْدٍ والعكس في بيئة الحجاز، فقد قرأ أهل الكوفة قوله سبحانه وتعالى:﴿ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيرا كثيرا﴾.[117] بالياء والتخفيف[118] (ومن يُوت)، وكذلك قرئت هذه الآيات:﴿قال يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بأسمائهم﴾[119] أنبيهم ﴿ وإذا خَلَوْا إلى شَيَاطِينهم قالوا إنّا مَعَكُم إنّما نحن مستهزِئون﴾ مستهزون بغير همزة.[120]

وتخفف بنو أسد لرؤوف وأهل مكة من أهل الحجاز يحققون بعض الهمزات كبريء ونبيء؛ وهذا كله دليل على تأثر هذه القبائل بعضها ببعض في الهمز والتسهيل بحيث انتشر ذلك على لسان القبائل ولا سيما بعد التوحد اللغوي.

الخاتمة:

إنّ القراءات القرآنية مصدر أساسيّ لدراسة مختلف الظواهر اللّغوية ومنها الصّوتية، حيث استنتجنا أنّ النطق بالهمزة بين التخفيف والتحقيق في لهجاتنا العربية القديمة قد جسّدته لنا قراءاتنا القرآنية، حيث تبين لنا:

– الهمزة صوت حنجريّ شديد يناسب البيئة البدوية وهي قبائل وسط الجزيرة وشرقها، فهي أساسا تكمن في لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورهم، والتسهيل في أصله لهجة البيئة المتحضرة، ويتمثّلون في بيئة الحجاز وخاصة قريش في مكة، والأوس والخزرج في المدينة.

– لا يعدّ هذا قانونا ثابتا، فقد يحدث أن يحقق الحضري الهمز، ويخفّفه البدوي، ولكن الأغلب أنّ قبائل البادية تهمز، والقبائل المتحضّرة تخفف، وتمثل ذلك في قرائنا حيث حقّق الكوفيون الهمزة وكذلك قرأ بن مسعود، وما خالف القاعدة عدّ من القراءات الشاذّة.

ـ **الهوامش**:

1 – سيبويه عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، عالم الكتب، ط 3. 1403هـ–1983م، ج4. ص 434.

2 – المرجع السابق. ج4. ص 434.

3 – المبرد. المقتضب. تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة. طبعة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1388 هـ (1963–1968 م). ج1. ص 52.

4 – ابن يعيش. شرح المفصّل. المنيرية، د ت، ج9، ص 107.

5 – إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. القاهرة. 1950م. ص 82.

6 – ابن الجزري محمد. النشر في القراءات العشر، تصحيح وإشراف الأستاذ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1. ص 390.

7 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1 ، ص 362.

8 – المرجع السابق. ج1. ص 632.

9 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 390.

10 – الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع. مخطوط بمكتبة لديه الإسكندرية برقم 3570 ج، ج2، ص 20.

11 – سيبويه. الكتاب. ج3 ص 541.

12 – سيبويه. الكتاب. ج3. ص 543–544.

13 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 395.

14 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 396.

15 – أبو علي الفارسي. الحجة. ج2. ص 264.

16 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 397.

17 – ابن الجزري. المصدر السابق، ج1، ص 397.
18 – ابن الجزري. المصدر السابق،ج1، ص 397.
19 – الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع، ج4، ص 10.
20 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1 ص 400.
21 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج1. ص 405.
22 – الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع، ج5. ص 176.
23 – سورة البقرة. الآية 260.
24 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر.ج1. ص 406.
25 – سورة الفتح. الآية 21، سورة الأحزاب. الآية 27.
26 – الفارسي أبو علي. الحجة في القراءات السبع، ج1. ص 365.
27 – الفارسي أبو علي. المرجع السابق، ج1، ص 365.
28 – سورة النمل. الآية 44.
29 – الفارسي أبو علي. المرجع السابق، ج6، ص67.
30 – سورة النجم. الآية22.
31 – المرجع نفسه. ج7. ص202.
32 – المرجع السابق ج5 ص 364.
33 – سورة الكهف. الآية 94.
34 – أبو حيان. البحر المحيط، طبعة السعادة، 1328هـ. ج6. ص163.
35 – سورة البقرة. الآية 102.
36 – ابن جني. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية رقم 444 م عن مخطوطة دار الكتب 78 قراءات، ص 21.
37 – سورة النحل. الآية 5.
38 – الكرماني. شواذ القراءة و اختلاف المصاحف. مخطوطة بمكتبة الأزهر برقم 244 قراءات، ص 130.
39 – سورة النحل. الآية66.
40 – أبو حيان، البحر المحيط. ج4، ص279.
41 – سورة الأعراف، الآية 20.
42 – أبو حيان. البحر المحيط، ج4، ص 279.
43 – سورة البقرة، الآية 54.
44 – الكرماني. شواذ القراءة و اختلاف المصاحف، ص 25.

45 – سورة الأعراف، الآية 29.

46 – الكرماني. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 187 ، وأبو حيّان. البحر المحيط، ج7 ، ص 146.

47 – سورة التوبة، الآية 13.

48 – الكرماني. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 98 ، وأبو حيان. البحر المحيط، ج5 ، ص 16.

49 – سورة الفاتحة، الآية 7.

50 – ابن جني. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ص 10.

51 – سورة الرحمان. الآية 39.

52 – ابن جني. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وأبو حيان. البحر المحيط، ج8، ص196.

53 – سورة الهمزة، الآية 4.

54 – الكرماني. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 210 ، وأبو حيان. البحر المحيط، ج8 ، ص510.

55 – سورة القصص، الآيتان 7 و 10.

56 – الكرماني شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 25، وابن جني. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ص 122.

57 – سورة النساء 163، الأنعام 86، يونس 98، الصافات 139.

58 – سورة يوسف 21، 29 وغيرها.

59 – ابن خلويه . الحجة في قراءات الأئمة السبعة، ص 30.

60 – سورة التكاثر، الآية 6.

61 – ابن خلويه. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ص 169.

62 – سورة البقرة، الآية 6.

63 – الفارسي. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، ج1، ص 227، و أبو حيان. البحر المحيط، ج1، ص 47، وابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 363.

64 – سورة الزخرف، الآية 58.

65 – ابن الجزري. النشر، ج1، ص 365.

66 – سورة فصلت، الآية 44.

67 – الفارسي. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، ج7، ص 87.

68 – سورة الأنعام، الآية 19.

69 – سورة الشعراء، الآية 41.

70 – سورة النمل 60، 61، 62، 63، 64، 26.

71 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 369.

72 – سورة آل عمران، الآية 15.
73 – سورة الحجر، الآية 9.
74 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 374.
75 – سورة النمل 66.
76 – ابن خلويه. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، 1971م، ص 110.
77 – سورة النمل 60، 61، 62، 63، 64.
78 – ابن خلويه، المرجع السابق، ص 110.
79 – سورة التوبة 124، هود 7، النمل 38، الملك2.
80 – الكرماني. شواذ القراءة واختلاف المصاحف، ص 88.
81 – سورة البقرة، الآية 6.
82 – الكرماني، المرجع السابق، ص 88.
83 – سورة يَس. الآية 19.
84 – ابن خلويه. الحجة في قراءة الأئمة السبعة، ص 125.
85 – سورة النساء، الآية 22.
86 – سورة هود، الآية 71.
87 – سورة النساء، الآية 5.
88 – سورة الأنعام، الآية 61.
89 – سورة الأحقاف، الآية 32.
90 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 382.
91 – سورة المؤمنون. الآية 44.
92 – سورة البقرة. الآية 133.
93 – سورة يوسف. الآية 58.
94 – سورة الأعراف. الآية 100.
95 – سورة هود. الآية 44.
96 – سورة النساء. الآية 51.
97 – سورة يوسف. الآية 76.
98 – سورة البقرة. الآية 282.
99 – سورة النمل. الآية 29.
100 – ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج1، ص 386.

101 – سيبويه. الكتاب، ج3، ص 549.
102 – سيبويه. الكتاب، ج3، ص 550.
103 – المرجع نفسه، ج3، ص 551.
104 السيرافي. شرح كتاب سيبويه، مخطوطة بدار الكتب، رقم 136، ص 13.
105 – إبراهيم أنيس. في اللهجات العربيّة، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط8، 1966م، ص 77.
106 – أبو حيان. البحر المحيط، ج6، ص 163.
107 – سيبويه. الكتاب. ج3. ص 550.
108 – سيبويه. الكتاب. ج3. ص 555.
109 – إبراهيم أنيس. في اللهجات العربيّة. ص 77.
110 – ابن يعيش. شرح المفصل. ج9، ص 107.
111 – ابن جني. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، 1371هـ– 1952م، ج1. ص 17.
112 – المصدر السابق. ج3. ص 126.
113 – ابن منظور. لسان العرب. ط بولاق 1300هـ– 1307هـ. ط بيروت 1375هـ– 1956م. ج1 ص 14.
114 – ابن جني. سر صناعة الإعراب، طبعة 1374هـ–1954م و مخطوط مكتبة الأزهر (116 لغة) ودار الكتب المصرية 5816 هـ. ج1 ص 82.
115 – شاهين عبد الصبور. القراءات القرآنية في ضوء علم الحديث. دار القلم. 1966م. ص 198.
116 – ابن منظور. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 2004،ج1، ص 22.
117 – سورة البقرة. الآية 269.
118 – ابن خلويه. مختصر شواذ القرآن. نشره المستشرق برجستراسر. ط. القاهرة 1934م. ص 17.
119 – سورة البقرة، الآية 33.
120 – ابن خلويه. مختصر شواذ القرآن. ص2.